ما بين اساطير الذكاء الاصطناعي ومتاهات تنظيمه، اين نقف كمستخدمين سلبيين!

ضياء ثابت
مسؤول قطاع الاتصال والمعلومات في يونسكو العراق
d.subhee@unesco.org

نراقب عن كثب ثورة الذكاء الاصطناعي ومسارات التحول في تكنلوجيا الاتصالات والمعلومات القائمة على دخول هذا اللاعب بعناصر وادوات باتت هي معيار التمييز الأبرز بين ملاك خدمات الإنترنت والمنصات الرقمية وشركات تكنلوجيا الاتصالات والمعلومات في العالم.

ونرى ان العالم يسير باتجاهات ثلاث في الوقت الراهن حيال هذا الدخيل الذي يسعى لمحاكاة القدرة العقلية في الارتجال والتوليد والإنتاج للأفكار والتحكم بالعمليات أي كانت بلا أوامر مسبقة، ولعل انموذج الذكاء الاصطناعي التوليدي القادر على التفاعل آنيا مع العقول البشرية والاستجابة لما يطلبونه منهم والمتاح للجميع، وهو محل تقييم، اختبار، تربية، تعليم، وتلغيم، هو الابرز في هذا الصدد.

ومرورا على الاتجاهات الثلاث تلك، فان الاتجاه الأول يقوم على سؤال محوري، هو هل ان هذا النمط الذكي من العقول الاصطناعية قادر على تجاوز قدرات البشر والخروج عن السيطرة البشرية؟. اما الاتجاه الثاني، فيتمحور حول اخلاقيات الذكاء الاصطناعي، والثالث، هو مدى قانونية الذكاء الاصطناعي وهل يمكن التنبأ بما قد يفعله مستقبلا إذا ما خرج عن سيطرة المطورين وتحول إلى التطوير والنمو الذاتي.

انها تساؤلات مركزية تحكم تلك الاتجاهات، وتتداخل معها شبهات عالمية فيما لو كان ملاك ومخترعي هذا القطاع ينفذون اجندات لتحويل اغلب المهن من العنصر البشري إلى أنماط الذكاء الاصطناعي، وهو تخوف تدعمه آراء جيوش من العاملين في مختلف القطاعات، وهولاء لا يتوانون عن إظهار مخاوفهم علنا!. او شبهات أخرى، بان هذا الدخيل الذكي المتحكم بذاته قد يفعل ما تعجز عن فعله فرق من الجواسيس وجيوش المقاتلين في قيادة معارك سيبرانية وواقعية والإمساك بزمام ومقدرات حروب العقد المقبل من الزمن. وابرز النماذج التي نشهدها في الوقت الحالي هي الحرب الاوكرانية-الروسية، وحرب غزة، التي تستخدم فيهما روبتوت عسكرية حربية وطائرات مسيرة لجمع المعلومات وتفحص ادق تفاصيل البشر المتصارعين في تلك الميادين، او جيوش الصين من الروبوتات الذكية المسلحة وازرار الاطلاق المبنية على قرار العقل الاصطناعي الذي يتحرك بناء على كود برمجي ومعلومة استلمها مسبقا.

قطيعة البشرية الكبرى

على جانب آخر، فاننا نقترب بسرعة كبيرة من حافة نهاية العلاقة الفكرية والثقافية بين الأجيال المتبقية من الذين استقوا معارفهم وعلومهم وافكارهم من الكتب (الورق) او خزين الحواسيب والوسائط المتعددة المدخل يدويا من قبل بشر، وبين الأجيال الجديدة التي تستقي كل مادة عقولها من تطبيقات ذكية وغبية، ومن منصات رقمية اخترقها التضليل المعلوماتي والإعلامي والرقمي بكل أنواعه، سواء كانت تطبيقات ترفيه كالتوك توك والفيسبوك او غيرها من تطبيقات الذكاء الاصطناعي الاخرى ذات الاهداف التعليمية او التواصلية. انها بداية التحول ما بين الانماط التقليدية لتلقي المعلومات، الى النمط القائم على المعلومات المولفة عبر الذكاء الاصطناعي والمصنعة بمكائن ذكية وروبوتات تحركها خوارزميات وبرمجيات.

مابين نوعين من البشر

بدات المسيرة الجديدة التي يقودها تطبيق ذكي تسأله فيعطيك إجابة ولّدها بناء على مقارنة يعقدها ذاتيا مع أقرب معلومة متاحة على موقع الكتروني دبرها بثوان عبر خوارزمياته، او أتى بها من خلال محادثاتك اليومية معه، وطلبك للمعلومات او تغذيته ببيانات عبر أنواع خدمات نصية كانت ام صورية. او ربما يأتيك بمعلومات ابتكرها بقدرته على التوليد.

ان هذه العلاقة قائمة على معادلة انقراض تدريجي لاجيال القراءة والتأليف عبر البحث المضني المطول بين المصادر وأمهات الكتب، وبين اجيال تنمو وتلد اجيال اخرى تتغذى على مؤنتها الفكرية والعلمية والثقافية المستوحاة من عالم الموبايل وتطبيقاته الذكية. وهنا نتساءل نحن أيضا كيف ستقرأ أجيال المستقبل القريب او البعيد بعد خمسين او مئة عام تاريخنا نحن، معتمدة على قواعد معلومات مولدة ومثبتة ومرسخة عبر الذكاء الاصطناعي وتطوراته؟

شواخص تاريخية آيلة للسقوط

استطيع اليوم ان الغم (جات جي بي تي) مثلا او (كوبلوت) وغيره من مئات التطبيقات القائمة على خوارزميات الذكاء الاصطناعي، بمعلومات تاريخيّة أتلاعب بها وأرسلها له في محادثات يكون عنوانها تصحيح معلومات للذكاء الاصطناعي، او بعناوين اخرى، وهو يستقبلها ويبني عليها مخرجاته. وقد جربت معه ذلك ونجح الأمر مرارا وتكرارا؛ أي انه يشتر المعلومات ويعيد إنتاجها بطريقته وبكلماته هو. فالنتخيل كيف سيبني أحفادنا للجيل الرابع ثقافتهم ومعارفهم حول الصراعات التاريخية، إذا ما انفق الأثرى في تلك المعادلة والأكثر سلطة اموالاً في تلغيم هذا

الذكاء الاصطناعي بمعلومات غير محايدة، لا موضوعية، مؤدلجة وليست حقيقية، او كيف ستكون رؤيتهم عن الصراع بين الخير والشر وترجمة الاديان السماوية لهذا الصراع.

سيكون في ذلك الزمن تطبيق ال(جات جي بي تي) بمثابة تابلت تاريخي رقمي معتمد للمعلومات، وارث تاريخي ثقافي وكل مافيه قرانا لا يأتيه الباطل لا من قريب ولا من بعيد بالنسبة لأقوام ذلك الزمن!. فكما ننظر نحن اليوم الى مخطوطة تاريخية عمرها مئات الاعوام، سينظرون هم ايضا الى مدونات ومؤلفات هذه التطبيقات بذات القيمة، اذا ما كانت المعلومات تلك مدعمة بفيديوهات تحاكي الواقع بتقنيات الذكاء الاصطناعي التي أساسها حاليا InDeep Fake او غيره من النماذج التي تمثل توليد أفلام سينماتك عبر الذكاء الاصطناعي ونصوصا وصورا، فيرى ابناء المستقبل الحقائق التاريخية بنمط اكثر من ثلاثي الأبعاد مثلا.

الذكاء الاصطناعي ملعب الخير والشر

ومن بين التساؤلات الكثيرة التي تطرح، من ياترى سيكون الاقوى في عالم الذكاء الاصطناعي، اتباع الشيطان ممثلا لمعسكر الكفر، ام ممثلي معسكر الإيمان في توجيه الذكاء الاصطناعي، وبلا ادنى شك أن اتباع معسكر الإيمان هم اليوم حالهم حالي مراقبين وربما قادرين على الاستخدام فقط، لكن التحكم بهذا العالم الرقمي بذكائه الاصطناعي حتما يتم عبر اللامتدينين وهم بطبيعة الحال وفق تصنيفاتنا من اتباع معسكر الشيطان. وعليه فان المسيطر على هذا الفضاء الرحب والوسيع لن يسمح للأديان الأخرى والمعتقدات بان تهيمن وتسيطر، او على اقل تقدير ان توصل رسائلها في العالم الذي تخيلنا فيه ان كل شي يأتي من الذكاء الاصطناعي وكما ماتت صاحبة الجلالة الصحافة المطبوعة وانقرضت ستنقرض أيضا أنماط التراسل وتبادل المعلومات التقليدية ويضحي المغذي المعتمد لكل ما يبحث عنه إنسان مابعد ٢٠٧٠ هو الذكاء الاصطناعي بصوره المتطورة.

يعتمد حاليا الذكاء الاصطناعي على الإنسان لتدريبه وتطويره، النظام يحتاج إلى البيانات والتوجيه البشري لضبطه وتصحيحه. ومع ذلك، هناك نوع من الذكاء الاصطناعي يُسمى التعلم الآلي المستمر continual learning حيث يستطيع النظام التعلم من البيانات الجديدة بدون إعادة تدريبه من الصفر. لكن حتى الآن، هذه الأنظمة تعمل ضمن قيود محددة، وهي لا تمتلك القدرة على التطوير المستقل الكامل دون تدخل بشري.

السيناريو الذي يتصور أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يخرج عن السيطرة يرتبط عادةً بفكرة "الذكاء الاصطناعي العام" (AGI) الذي يمتلك ذكاءً يوازي أو يتجاوز الذكاء البشري. حتى الآن، لم نصل إلى تطوير ذكاء اصطناعي بهذا المستوى. ومع ذلك، تظل هناك مخاوف مشروعة

حول الأنظمة المتقدمة التي يمكن أن تتخذ قرارات غير متوقعة أو غير مرغوبة بناءً على البرمجة الأصلية.

وقد حذر بعض الخبراء في مجال الذكاء الاصطناعي، مثل إيلون ماسك وستيفن هوكينغ، من احتمال أن يتجاوز الذكاء الاصطناعي حدود السيطرة البشرية في المستقبل. وهناك دعوات لتطوير قوانين وإرشادات لضمان استخدام الذكاء الاصطناعي بشكل آمن ومسؤول.

كما أظهرت الدراسات أن أنظمة الذكاء الاصطناعي يمكن أن تكون متحيزة بناءً على البيانات التي تم تدريبها عليها، مما قد يؤدي إلى تعزيز الانقسامات الاجتماعية أو التمييز ضد فئات معينة.

من الناحية الأخلاقية، يمثل الذكاء الاصطناعي تحديات جديدة حول مسألة التحيز، التضليل المعلوماتي، والخصوصية. يمكن استخدام الذكاء الاصطناعي لتحريف الحقائق وهو خطر حقيقي خاصة إذا ما استُخدم لأغراض غير نزيهة. لذا تنشط الجهود الدولية لتطوير أطر قانونية لتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي، مثل المبادئ الأخلاقية التي اعتمدتها منظمة اليونسكو في عام 2021 بشأن الذكاء الاصطناعي. هذه المبادئ تهدف إلى تعزيز الذكاء الاصطناعي الذي يحترم حقوق الإنسان ويعزز التنمية المستدامة.

معركة السيطرة على الذكاء الاصطناعي

في المستقبل، يكون الأقوى تقنيًّا هو المسيطر، سواء أكان يمثل معسكر الشر أو الخير. حالياً، نحن المستهلكون السلبيين قد نتمكن من استخدام الذكاء الاصطناعي فقط، وندفع الاموال لكي نحظى بخدماته القيمة في التلاعب بالصور وصناعة المقاطع الفيديوية، او ان يكتب لنا بحوثا ودراسات اكاديمية او يعد لنا واجباتنا العملية والمنزلية حتى. لكن المتحكمين في هذا العالم الرقمي الجديد هم أولئك الذين يتبعون معتقدات قد لا تتماشى مع تصنيفاتنا الأخلاقية ويتقاضون مليارات الدولارات من الاموال التي ننفقها من جانبنا على ما يتحكمون به هم من جابنهم. المسيطرون على هذا الفضاء الرحب لن يسمحوا للأديان والمعتقدات الأخرى بالهيمنة أو إيصال رسائلهم في عالم مستقبلي يهيمن عليه الذكاء الاصطناعي. او قد يجعلون الذكاء الاصطناعي يتبنى وجهات نظرهم في قراءة قصص الانبياء وتطور الانسان او قلب حقائق تاريخية الفناها نحن الذين سننقرض ويبقى من بعدنا احفادنا المشفرين رقيما بمعلومات هذا العالم الرقمي.

ان التعمق في قضايا أساسية تخص الذكاء الاصطناعي، بدئا من التلاعب بالمعلومات وصولا إلى المخاوف بشأن السيطرة الأخلاقية والتكنولوجية، البُعد التاريخي، ربط المستقبل بالتحولات التاريخية، انما هدفه لفت انتباه الجمهور، مع ذلك، يمكن توضيح بعض الأفكار بشكل أفضل،

مثل وضع سيناريوهات أكثر وضوحاً لما يمكن أن يحدث في المستقبل بناءً على هذه المخاوف والاحاطة بمزيد من الأدلة والتوثيق لدعم بعض الادعاءات مثل قدرة الذكاء الاصطناعي على تحريف الحقائق التاريخية.

ومما لاشك فيه ان تقنية الذكاء الاصطناعي تتحول بسرعة إلى أداة رئيسية في العديد من المجالات مثل الطب، والتعليم، والأمن، لكنه يأتي مع تحديات تتعلق بالتحكم فيه وتطويره. يجب أن نكون حذرين بشأن تعزيز نماذج الذكاء الاصطناعي التي لديها القدرة على اتخاذ قرارات تؤثر على حياة الناس دون تدخل بشري مباشر. فعلى سبيل المثال الذكاء الاصطناعي التوليدي، يتعلم من البيانات التي يتلقاها، مما يجعله عرضة للانحراف إذا لم يتم مراقبته بدقة.

ان أحد أكبر التحديات الماثلة اليوم هي تأثير الذكاء الاصطناعي على القوى العاملة، مع ازدياد الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في قطاعات مثل التصنيع، والخدمات اللوجستية، وحتى الصحافة، هناك قلق مشروع بشأن مستقبل العمل البشري. هل سنصل إلى نقطة يصبح فيها الذكاء الاصطناعي بديلاً فعلياً للعديد من الوظائف التي تعتمد على الإنسان؟ هذا احد الاتجاهات الثلاث السائدة اليوم والتي يبحث العالم عن اجابات وضمانات حيالها.

ضوابط الأمان مع الذكاء الاصطناعي

لتجنب سيناريوهات الخروج عن السيطرة، يعمل الباحثون على تطوير أنظمة ذكاء اصطناعي بآليات أمان متقدمة، بما في ذلك ما يُعرف بـ"الصندوق الأسود" الذي يمكنه مراقبة عملية اتخاذ القرارات في الذكاء الاصطناعي وتقديم تفسير واضح لكل قرار يتم اتخاذه. إضافة إلى ذلك، يجري تطوير سياسات تنظيمية وقانونية لمنع الذكاء الاصطناعي من التصرف بطريقة غير مقيدة أو خطيرة.

ويرى بعض العلماء أن تطور الذكاء الاصطناعي إلى نقطة الخروج عن السيطرة قد يحدث إذا تم تطوير نظم ذات قدرة على التعلم والتطوير الذاتي دون رقابة مستمرة. في هذا السياق، يرى البعض أنه من المهم فرض قيود صارمة وتحديد قواعد واضحة لضمان بقاء الذكاء الاصطناعي تحت السيطرة البشرية. وعلى الرغم من التقدم السريع في مجال الذكاء الاصطناعي، فإن الأنظمة الحالية لا تزال تعتمد بشكل كبير على التحكم البشري. لكن لا يمكن استبعاد احتمالية حدوث تطورات مستقبلية قد تستدعي توخي الحذر واليقظة لضمان أن تبقى هذه التكنولوجيا في إطار السيطرة البشرية ومعايير السلامة والأخلاقيات.